حركة الترجمة بين اللغة الفرنسية واللغة العربية

منذ الثمانينيات من القرن الماضي: "انعكاس للعلاقات الثقافية"

لـــ: ريشارد جاكوموند*

ترجمة: محمد يحياتن

إن الدراسة المقارنة لحركة الترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، والعكس من العربية إلى الفرنسية، تقدم صورة مثالية للتبادل الثقافي غير المتساوي بين لغة مركزية أو مهيمنة (الفرنسية) ولغة تقع على الأطراف أو مهيمن عليها (العربية) (1). قد يبدو تصنيف العربية ضمن اللغات الهامشية مفارقا، ذلك أن العربية هي اللغة الأم لأكثر من 200 مليون نسمة، واللغة الثانية على الأقل لـــ 100 مليون نسمة أخرى، (ما يجعلها تتبوأ المرتبة الخامسة أو السادسة على الصعيد العالمي) (2)، وهي اللغة الرسمية الوحيدة لـــ 17 من بين الـــ 22 دولة عضوة في جامعة الدول العربية، وإحدى اللغات الرسمية لخمس دول أخرى (العراق، السودان، جيبوتي، الصومال، جزر القمر)، وكذا لثلاث دول ليست عضوا فيها (إرتيريا، تشاد، إسرائيل). وفضلا عن هذا، إن العربية، منذ 1973، إحدى اللغات الست الرسمية في منظمة الأمم المتحدة. كما هي لغة التعبير المفضلة للإسلام، الدين الذي يعتنقه أكثر من مليار شخص، ومن الوجهة التاريخية، هي لغة ثقافة كبرى على غرار اليونانية، واللاتينية، والصينية. ومع ذلك، فهي من حيث وزنها في التبادلات الثقافية العالمية أو الاقتصاد العالمي للمعرفة، لغة هامشية. في مقدورنا أن نقيس ونقدّر ذلك، باعتماد العديد من المؤشرات، خاصة ــ باقتفاء آثار يوهان هلبرن ــ عبر حركة الترجمة(3): كانت العربية اللغة الخامسة أو السادسة الأكثر استعمالا في العالم، إلا أنها، حسب دليل الترجمات Index Translationum

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحتل المرتبة السابعة عشرة من حيث عدد العناوين المترجمة منها (9113)، والمرتبة الثلاثين من حيث عدد العناوين المترجمة إليها (9038) (4).

بيد أن قياس الوزن العالمي للعربية من خلال هذا المؤشر يطرح مشاكل مختلفة ينبغي مناقشتها سلفا. حتى وإن كانت هذه المناقشة، كما سنرى، لا تفضي إلى دحض الفرضية التي انطلقنا منها، ألا وهي كون العربية في وضعية المهيمن عليها في التبادلات الثقافية الدولية، كما سيبيّن ذلك فحصنا لحركة الترجمة الحديثة بين الفرنسية، والعربية.

حركـــة الترجمـــة: مؤشر مفيد ولكنه إشكالي:

منذ منعطف الألفية، أخذ تراكم الصراعات والأزمات المختلفة في العالم العربي يذكي خطابا متشائما، لاسيما في وسط النخب العربية التي تبدو اليوم أميل إلى النقد الذاتي، بعد أن ظلت تحمّل الأجنبي الاستعماري (الجديد) مسؤولية "المحنة العربية" (5). وكمثال دال على ذلك، نذكر سلسلة التقارير حول التنمية، البشرية العربية لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD، وخاصة تقرير سنة 2003 (6). هذا التقرير الذي يحمل عنوانا فرعيا "بناء مجتمع المعرفة" المحرر من قبل فريق من الباحثين العرب، يعرض صورة مهولة كارثية عن الوضع الحالي للعالم العربي، من حيث إنتاج ونقل المعرفة والمعلومة .وقد ذكرت العديد من هذه التحاليل والخلاصات غير مرة، وبثّت عبر وسائل الإعلام العربية والأجنبية، وخاصة الفكرة القائلة بأن العدد الهزيل للكتب المترجمة إلى العربية أحد المؤشرات الأوضح، لأزمة الثقافة العربية المعاصرة:

"إن جل البلدان العربية لم تستخلص الدروس من الماضي، وما زال حقل الترجمة مهملا. فمن حيث الكمية، ورغم ارتفاع عدد الكتب المترجمة في العالم العربي من 175 سنويا خلال الفترة 1970 ــ 1975 إلى 330، فإن هذا الرقم يعادل خمس الترجمات المنشورة في اليونان. كما أن مجموع الكتب التي ترجمت من عهد المأمون إلى يومنا هذا بلغ 10 000 ــ وهو يساوي ما تترجمه إسبانيا في سنة واحدة" . شوقي جلال، (1999، ص 87).

إن هذه الأرقام، بطبيعة الحال، من شأنها أن تصدم الأذهان. والحال إنها أبعد ما تكون عن الواقع. يحيل المصدر المذكور، وهو بحث قصير لمثقف ومترجم مصري (8) على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معطيات صادرة عن مدونة إحصائية، أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في 1985، في إطار "المخطط القومي للترجمة" الذي ظل حبرا على ورق. والجملة "مجموع الكتب المترجمة منذ عصر المأمون" إلى غاية اليوم هو 10 000، هي نفسها مستقاة من هذه الوثيقة لسنة 1985 .(9) يتعلق الأمر إذن بمعطيات قديمة نسبيا، ولكنها وبخاصة ذات ثغرات وفجوات. ذلك أن **الألكسو** قد استندت آنذاك على المعطيات التي قدمتها الدول العربية التي لم تستجب لطلباتها إلا جزئيا.

إن هذه الدول نفسها قد جمعت بكيفية منقوصة المعطيات البيبليوغرافية التي تضع اليونسكو ــ انطلاقا منها ــ دليل الترجمات المشار إليه أعلاه، وهي قاعدة المعطيات التي تسمح بتحليل الحركات الدولية في مجال الترجمة منذ الثمانينيات. من الوجهة العملية، تتراءى الدول العربية الوحيدة التي تغذي هذا الدليل بشكل مرض: مصر (3502 ترجمة عربية محصاة منذ 1979) وسوريا (1772). تبدو هذه الأرقام قريبة على حد بعيد من الواقع، كما يمكن قياسه عن طريق الملاحظة المباشرة، والاطلاع على قوائم كتب الناشرين في هذين البلدين. وعلى عكس ذلك، فإن المركز الآخر (مع مصر) للنشر العربي أي لبنان، فهو غائب تماما، جراء غياب الإيداع القانوني في هذا البلد: فالدليل لا يقدم سوى 78 ترجمة عربية منشورة في لبنان منذ 1978، في حين نحن نعلم بأنه منذ الستينيات ينشر به على الأقل ما ينشر من ترجمات في مصر. وهكذا أحصى تحرّ قيم به حول ما ترجم من الفرنسية فقط والمنشور بلبنان منذ 1980 ــ تحرّ لم يكتمل مع الأسف ــ أكثر من 1500 ترجمة (10). علما بأن الثغرات المسجلة ذات أهمية كبرى، بالنسبة إلى الدول، حيث قطاع النشر حديث النشأة . هناك تحرّ آخر حول النشر في المغرب الأقصى، أحصى 426 ترجمة عربية من 1985 إلى 2003، مقابل 24 ترجمة فقط مسجلة في الدليل حول الفترة عينها (11). وقد أحصت دراسة حول المملكة العربية السعودية شملت الفترة 1980 ــ 1993: 412 ترجمة، ولم يسجل الدليل سوى 57 ترجمة بالنسبة للفترة نفسها (12).

في الواقع، إلى غاية نهاية الاحتكار المصري اللبناني في مجال الكتاب العربي، والبروز التدريجي ابتداء من السبعينيات ــ للنشر الوطني في جل بلدان المنطقة، تنوع مشهد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النشر العربي كثيرا، ومن الصعوبة بمكان تكوين فكرة دقيقة عن واقع النشر الفعلي، والنسبة التي تمثلها الكتب المترجمة. ودون الدخول في التفاصيل؛ تفضي التوقعات التي يمكن تقديمها، انطلاقا من التحريات المتوافرة، إلى اقتراح تقويم قوامه 2000 ترجمة على الأقل، تنشر سنويا على الصعيد العربي منذ بداية 2000، بما في ذلك ما أعيد نشره وطبعه (13). من باب المقارنة، تعرض السنوات الأخيرة للدليل (2000 إلى 2003) مجموع 2334 ترجمة عربية، أي بمعدل 558 في السنة.

ثمة مقارنة أخرى لافتة للنظر: إذا أخذنا في الحسبان الآن السنوات الأربع الأولى الكاملة للدليل (1980 ــ 1983)، نجد 745 ترجمة عربية (معدل 186 في السنة) (14). بالنسبة إلى مدة عشرين سنة، يسجل الدليل إذن مضاعفة هذه الترجمات ثلاث مرات. وحتى وإن كانت هذه المعطيات تنطوي على ثغرات، فإن التدرج الذي تسجله يبدو مطابقا لواقع السوق، ذلك أن لا شيء يشير من جهة إلى أن نقل المعطيات البيبليوغرافية من الدول العربية نحو اليونيسكو قد تحسن منذ الثمانينيات، ومن جهة أخرى؛ إن زيادة عدد الترجمات تأتي في سياق شهد زيادة قوية لإنتاج الكتب في العالم العربي، وهذه الزيادة مرتبطة أولا ــ كما أسلفنا ــ بتنوع مراكز الإنتاج. بعبارة أخرى، ينبغي الاقتناع بفكرة؛ مؤداها أن الحصة النسبية للترجمات في الإنتاج العربي لم تزد، أو زادت قليلا، وتدور حول 5 %، وهذا قليل إذا قورن بالترجمات في البلدان الأوربية، باستثناء (بريطانيا العظمى) ولكن هذا يطابق واقع السوق الصينية مثلا.(15)

إن نظرنا الآن في الترجمة انطلاقا من العربية صوب اللغات الأوربية الكبرى لاسيما نحو الفرنسية، فإن الدليل يصبح أداة ذات مصداقية، بما أن المعطيات هذه المرة هي تلك التي وفرتها المكتبة الوطنية الفرنسية أو ما شاكلها. وهكذا ندرك أن المساواة الظاهرة لحركة الترجمة الداخلية (9038) intratraduction مدخل والخارجية (9113) extratraduction التي قد توهم بأن العربية هي في وضع تبادل ثقافي متساو تماما، هو في الواقع خداع للبصر، مرده إلى الفرق في نوعية المعطيات الإحصائية التي تم جمعها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يطرح معيار حركة الترجمات كمعيار للتبادلات الثقافية بين بلدين أو رقعتين لغويتين، مشكلا آخر في حالة العربية. فلكي يكون هذا المعيار حصيفا حقا، لا بد أن نقارن بين رقعتين أحاديتي اللغة، منيعتين نسبيا، مثل فرنسا والبلدان المنخفضة، التي قام بتحليلها يوهان هلبرن .غير أن الرقعة اللغوية العربية (ومن ثم سوق الكتاب العربي) تتميز بعدم اكتمال سيرورة التعريب. فبعد الفترة الاستعمارية الموسومة بالنهضة الثقافية العربية، وبفرض الفرنسية، والإنجليزية، ونشرهما في أوساط النخب المحلية، واكبت الاستقلالات سياسات تعريب منتظمة إن قليلا أو كثيرا، وناجعة كثيرا أو قليلا، ولكنها لم تبلغ غايتها أبدا باستثناء سوريا. إن النخب العربية التي هي أكثر استهلاكا للمكتوب، اليوم وأمس، ما زالت تلتجئ إلى الكتاب المدون بالإنجليزية، أو بالفرنسية، إما بنسب عالية (البلدان المغاربية)، أو بنسب متواضعة (المشرق).

يعاني الكتاب المترجم من الضعف البنيوي لسوق الكتاب العربي بوجه خاص. في المجتمعات الأوربية، سبقت عملية محو الأمية على أوسع نطاق وتلقين المطالعة، بوصفها نشاطا ترفيهيا فرديا، قلت سبقت بروز الوسائل السمعية البصرية، الأمر الذي مكّن الكتاب من مقاومة هذه الوسائل مقاومة حيوية. أما في العالم العربي، فقد فرضت هذه الوسائل نفسها على مجتمعات أمية إلى حد بعيد، بحيث لم تتجاوز المطالعة نخب المدن. وبالإمكان قياس ذلك بالحضور المحتشم في الأسواق العربية، للكتب العالمية الأكثر مبيعا، من قبيل آقاتا كريستي، وجول فرن أو ــ كي نعتمد أمثلة حديثة ــ ج.ك.رولنغ وباولو كوويلو: فهؤلاء المؤلفون ترجموا إلى العربية ولكن بمبيعات أضعف من تلك الحاصلة في أوربا، أو أمريكا الشمالية .وهذا الضعف ليس مرده إلى أسباب ودواع ثقافية، فالقارئ العربي يحتاط من المخيال الأوربي، والأمريكي، كما بيّن ذلك نجاح المسلسلات الأمريكية، والرسوم المتحركة اليابانية، لدى المتفرجين العرب. بل إن الصلة بالكتاب بحسبانه متاعا رمزيا، والمطالعة من حيث هي ممارسة اجتماعية هي المطعون فيها. وبشكل أدق، ربما بالصلة بنوع من الممارسة للمطالعة: نشاط ترفيهي ومجاني ذو متعة، لأن أنواعا أخرى من الكتب تقاوم جيدا الوسائل الإعلامية الجديدة وتجد جمهورا متزايدا: الكتب الدينية من جهة، والكتب التربوية والعلمية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جهة أخرى. هناك تصور نفعي للمطالعة: الكتاب استثمار ننتظر منه دخلا في هذا العالم أو ذاك. ففي مصر، ولبنان، وغيرهما، نجد في هذين القطاعين (الكتاب الديني والكتاب التربوي والعلمي) دور النشر الأقوى.

الترجمـــة من الفرنسيـــة إلى العربيـــة:

إن الضعف النسبي لحركة الترجمة إلى العربية لا يجب إذن أن يؤول بكيفية أحادية الاتجاه. بعد أن وضحنا هذه المسألة نقول إن ملاحظة حركة الترجمة بين الفرنسية والعربية غنية مع ذلك بالدروس والعظات على عدة مستويات.

منزلة اللغة الفرنسية بحسبانها لغة مصدرا:

استنطاق إحصائيات الدليل المذكور غير مرة في هذا الشأن، يجب أولا إبطال نوع من الشذوذ: إلى غاية 1991، كانت الروسية تمثل 31.7 % من الترجمات العربية المحصاة من قبل الدليل (1329 مدخل من مجموع 4191). غير أن جل هذه الترجمات نشر في الاتحاد السوفياتي سابقا (1172 من مجموع 1329 أي 88.2 %) إن طرحنا من الإحصائيات هذه الترجمات المنشورة في الاتحاد السوفياتي، نلاحظ بأن حصة الفرنسية والإنجليزية معا مستقرة: قرابة 75 % من الترجمات، في حين تتقاسم اللغات الأخرى الربع الباقي. ولكن في صلب هذه 75 %، فإن النسبة ليست في صالح الفرنسية، حيث تسقط من 20.7% إلى 12.4 %.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجدول 1 ــ اللغة الأصل للكتب المترجمة إلى العربية (دون احتساب الكتب المترجمة المنشورة).

في الاتحاد السوفياتي:

اللغـــــــة	1980 ــ 1989	1990 ــ 1999	2000ــ 2005
الإنجليـــزية	1106 (%54.1)	1588 (%57)	1571(% 64.6)
الفرنسيـــــة	423 (%20.7)	431 (% 15.5)	303 (%12.4)
الألمـــانيـــــة	104 (%5.1)	124 (%4.5)	112(% 4.6)
الروســـيـــــة	124 (%6.1)	83(% 3)	70 (%2.9)
الإســـبـــانـــية	47 (% 2.3)	87 (%3.1)	67 (%2.8)
الإيطالـــيـــــة	25 (%1.2)	31 (%1.1)	37 (%1.5)
لغـــات أخرى	217 (%10.6)	443 (%15.9)	272 (%11.2)
المجـــمـــــوع	2046(% 100)	2787 (%100)	2432 (% 100)

بعبارة أخرى، وباستثناء حالة الروسية الخاصة، فإن الفرنسية هي اللغة الوحيدة التي شاهدت تقهقر مكانتها بشكل جدي خلال هذه المرحلة. والسؤال الواجب طرحه يتمثل في معرفة ما إذا كان هذا التطور المسجل من قبل الدليل سيؤكد أو سيبطل من قبل معطيات أكثر اكتمالا. بالنسبة إلى لبنان، الغائب الأكبر في الدليل، تبيّن الملاحظة المباشرة (انطلاقا من قوائم الناشرين خاصة) تطورا مماثلا، أي تقهقرا نسبيا لحصة الفرنسية لصالح الإنجليزية.

مكانـــة الفرنسية بحسب البلدان:

في الجدول التالي لم نحتفظ إلا بالبلدان التي يقدم الدليل عنها عددا دالا وذا بال (أكثر من 100) من الترجمات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترجمة من الفرنسية	ترجمة من الإنجليزية	المجمـــوع	البلـــــد
269 (%7.7)	2723 (%77.8)	3502	مـــصـــر
466 (%28.5)	710 (%40.1)	1772	ســـوريا
70 (%8.4)	244 (%45.9)	532	الكويـــت
9 (%2.2)	316 (%78.2)	404	العربية السعودية
26 (%9.3)	179 (%63.9)	280	الأردن
131 (%59.8)	33 (%15.1)	219	الجزائـــر
98 (%61.3)	27 (%16.9)	160	تـــونـــس

الجدول 2 ــ الترجمات إلى العربية بحسب كل بلد عربي

إن الفرنسية متغلبة بشكل بيّن على الإنجليزية، بحسبانها لغة مصدر في مستعمرات المغرب القديمة. ففي المغرب الأقصى، الغائب في هذا الجدول، نجد أن الفرنسية هي لغة أصل لـــ 87.5% من مجموع 539 ترجمة عربية حصرها محمد الصغير جنجر، خلال الفترة 1955 ــ 2003 (16). بالنسبة إلى المشرق، نعدم مع الأسف إشارة دقيقة إلى العلاقة فرنسية ــ إنجليزية بلبنان: توحي قوائم الناشرين بأن الفرنسية ما تزال منتصرة على الإنجليزية، غير أن الفارق بين الإثنتين قد تقلص في العشر أو الخمس عشرة سنة الأخيرة. في سوريا، تجاوزت الإنجليزية الفرنسية التي كانت اللغة المصدر الأولى إلى غاية الثمانينيات. أما الدول الأخرى المذكورة في هذا الجدول، فهي بالأحرى ذات تقاليد أنجلوفونية، ومن ثم فإن الإنجليزية هي التي تهيمن، بوصفها لغة أصلا أو مصدرا .كان في مقدورنا أن نتصور بأن هذه الهيمنة أقل وطأة في مصر، التي ظلت مدة طويلة ترعى نوعا من الميل إلى الفرنسية وثقافتها، كي تحد من التأثير البريطاني. والحال إن حصة الفرنسية في الترجمات تبدو أضعف مما هي عليه في الأردن، والكويت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصـــناف الكتـــب المترجمـــة من الفرنسية إلى العربية:

هل يعود تدني منزلة الفرنسية إلى فقدان جاذبية هذا القطاع أو ذاك للإنتاج النشري الفرنسي؟ في هذه النقطة، يلاحظ أن موقع الترجمات العربية طريف. ذلك أنها تمتاز بالنسبة الضعيفة نسبيا التي يحتلها الصنف "الأدبي": ثلث الترجمات، في حين يقدر هذا الصنف في السوق العالمية بـــ 50 %. وهذا يعزز الملاحظة التي أدلينا بها – أعلاه – حول النزعة "النفعية" لسوق الكتاب العربي. أما فيما يتعلق بالترجمات من الفرنسية، فقد زادت حصة الأدب، المساوية لحصة مجموع اللغات الأصل في بداية الفترة (38 و36 تباعا) زيادة جلية بعد ذلك إذ بلغت 56 % في السنوات 2000 ـ 2005.

الجدول 3 : تطور الترجمـــات إلى العربية بحسب الأصـــناف:

	1989 ـ1980		1999 ـ1990		2005 ـ2000	
أصـــناف الكـــتـــب	جميع ما ترجم من اللغات الفرنسية		جميع ما ترجم من اللغات الفرنسية		جميع ما ترجم من اللغات الفرنسية	
أدب	745	163	864	181	814	170
أبحاث، علوم اجتماعية وإنسانية	715	166	897	170	692	98
ديـــــن	174	10	384	22	204	10
أخـــرى	412	84	642	58	722	25
المجمـــوع	2046	423	2787	431	2432	303

المـــصـــدر IndexTranslationum:

بالنسبة إلى صنف "الأبحاث essais والعلوم الإنسانية والاجتماعية" (القائم على أساس تجميع ثلاثة أصناف من التقسيم العشري لليونسكو: فلسفة وعلم النفس، الحقوق، العلوم الاجتماعية، والتربية، التاريخ، الجغرافيا، والسيرة)، فإن نسبتها تتقلص نسبيا في جميع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغات وكذلك الحال حين ننظر في الترجمات الفرنسية بمفردها. لقد احتفظنا بصنف "الدين" على حدة، للوقوف على تطوره في فترة اتسمت بتعاظم "الكتاب الإسلامي" في المنشورات العربية (17): ارتفعت حصته في التسعينيات قبل أن تنخفض إلى مستوى الثمانينيات. تبيّن الملاحظة المباشرة أيضا تقهقر حضور هذا الصنف من الكتب في السوق، وكأن أوج الموضة قد ولى. ومن اللافت للنظر أيضا؛ أن عددا قليلا من الترجمات من الفرنسية، ينتمي إلى هذا الصنف. أخيرا، يضم صنف "كتب أخرى" الأصناف الأربعة الأخيرة للتقسيم العشري المعتمد من قبل اليونسكو (عموميات، قواميس، طبيعة وعلوم دقيقة، علوم تطبيقية، فنون، ألعاب، رياضة). ونجد هاهنا خاصة مجال "الكتاب العلمي" . وهذا الصنف آخذ في التوسع، (انتقل من 20 إلى 30%) بجميع اللغات الأصل، ولكنه تقهقر بالنسبة للترجمات من الفرنسية، (من 20 إلى أقل من 10 %) تطور يطابق ما يمكن ملاحظته في الميدان، مع الحضور المتنامي في الأسواق للترجمات العربية للكتب الأمريكية، من قبل Selp Help، وعلم النفس العائلي، والمعلوماتية، مرورا بالاقتصاد والتسيير.

في الخلاصة، يمكن القول إن النزعات التي يمكن استخلاصها انطلاقا من إحصائيات دليل الترجمات غير مواتية كثيرا للغة الفرنسية، فحصتها الشاملة في الترجمات العربية في تناقص بيّن منذ الثمانينيات. في أهم البلدان العربية التي تنشر ترجمات، تتراءى الفرنسية إما بعيدة جدا خلف الإنجليزية (مصر)، أو في انخفاض وتقهقر (لبنان، سوريا)، وكان من شأن وضعيتها أن تصبح أكثر سوءا، لولا بروز سوق للكتاب العربي المترجم في البلدان المغاربية. أخيرا، من حيث الأصناف، إن صعود الأدب والانخفاض المتزامن للترجمات العربية للأبحاث، والعلوم الإنسانية، والاجتماعية والكتب العلمية والعملية الفرنسية قد ينمّان عن انكماش ما للترجمات من الفرنسية، وتقوقع على الصورة التقليدية "الأدبية" للثقافة الفرنسية.

إلى أي مدى يمكن لسياسات دعم الترجمة الخارجية أن تحد من هذا التقهقر؟ بالنسبة إلى الرقعة العربية، سمحت برامج مساعدة النشر لوزارة الشؤون الخارجية بمساعدة 800 عنوان منذ 1990، ولكن الأمر يتعلق فقط بنصف الترجمات، أما النصف الآخر فيتمثل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في التنازل عن الحقوق لمنشورات محلية بالفرنسية (18)، ولا بد أن نضيف إلى هذا مساعدات الترجمة الخارجية للمركز الوطني للكتاب (وزارة الثقافة): من 1989 إلى 2003 قدمت 300 مساعدة للعربية(19) . ويمثل مجموع الترجمات العربية التي تمت مساعدتها من قبل السلطات العمومية الفرنسية قرابة 700 عنوان على امتداد 15 سنة، وهو رقم يجب مقارنته بالـــ 734 ترجمة من الفرنسية إلى العربية، المحصاة من قبل دليل الترجمات، بالنسبة إلى الفترة 1990 ـ2005 (أنظر الجدول 1). صحيح أننا أشرنا – أعلاه – إلى أن الرقم الحقيقي للترجمات العربية هو ثلاثة أو أربعة أضعاف الرقم المسجل في الدليل. وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا سيعني بأن ثلث أو ربع الترجمات العربية من الفرنسية المنشورة في العالم العربي منذ 1990 قد استفاد من المساعدة العمومية الفرنسية: وهذا لعمري دال على أهمية هذه السياسة الداعمة للترجمة الخارجية، فيما يتعلق بالرقعة العربية .

ترجمـــة أم عـــودة إلى الأصـــل ؟:

قبل إعمال النظر في الحركة العكسية، أي في الترجمة من العربية إلى الفرنسية، سنتوقف عند مجال لا ندري في أي جهة من الحركة يقع: نقصد الحديث عن الترجمة العربية لإنتاج حجم مدوّن بالفرنسية، ولكنه يعنى بالعالم العربي، سواء تعلق الأمر بالأدب المتخيل والقصص المختلفة والأبحاث، أم بكتب العلوم الاجتماعية، سواء كان مؤلفوها فرنسيين (رحالة، مهاجرون، باحثون، صحافيون، إلخ) أم عربا، أم كانوا عربا فرنسيين معا، عندما يتعلق الأمر بكتاب ومثقفين أو باحثين عرب مقيمين منذ مدة طويلة بفرنسا، مثل الروائي الطاهر بن جلون، وأمين معلوف، أو الباحث في الإسلاميات محمد أركون، وهم مؤلفون ترجمت أعمالهم كثيرا إلى العربية.

بالفعل،هناك ميزة تسم التبادل الثقافي بين فرنسا والعالم العربي، تتمثل في كون هذا التبادل يستغني عن الترجمة.في العصر الحديث ــ العهد الاستعماري وما بعد الاستعماري ــ قامت معرفة وتصور للعالم العربي بفرنسا، من خلال وساطة الحقل الإستشراقي أكثر من قيامها على الاستيراد، عبر الترجمة، والمعارف، والتصورات المصوغة بالعربية. وفي الوقت ذاته، أمست الفرنسية جراء الاستعمار وظلت، بعد الاستقلالات، وبفضل سيرورات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكثر تعقيدا لغة لشريحة هامة من النخب الأدبية، والفكرية العربية، سواء تعلق الأمر بفاعلين أقاموا في شمال أم جنوب المتوسط أم المتنقلين من هنا إلى هناك، حسب السياقات السياسية، وفرص العمل.

لقد أحصى تحرّ أجراه معهد العالم العربي حول إنتاج الكتب الفرنسية لسنة 1986: 529 عنوان يتعلق بالعالم العربي من مجموع 18800 مؤلف جديد. ومن بين هذه الـ 529 عنوان، 500 كتب بالفرنسية، أو ترجم من لغة أوربية، و29 عنوانا مترجما من العربية (وعلى نحو ثانوي من التركية والفارسية والعبرية) (20). يمكن القول بأن الغلبة للترجمات في صنف واحد هو الدين (11 عنوانا، مقابل 8 مدونة بلغة أوربية) وأنها أكبر عددا في صنف الأدب، (14 عنوانا مقابل 58 كتب أصلا بلغة أوربية). بعد سنوات، اصدر معهد العالم العربي تحت عنوان (Ecrivains arabes d'hier et d'aujourd'hui كتّاب عرب من الأمس واليوم) بيبليوغرافيا للأعمال الأدبية المتوافرة في النشر الفرنسي في نهاية 1995 : (21) إلى غاية هذا التاريخ، من مجموع 280 مؤلف عربي معاصر منشور في فرنسا، 205 منهم يكتبون بالفرنسية و75 ترجموا إلى العربية. وهذا يبيّن تطور الترجمة من العربية (سأعود إلى هذا لاحقا) ولكن أيضا استمرار بل تطور الإبداع العربي ذي اللسان الفرنسي. ونظرا لعدم توافر بيبليوغرافيا كاملة وحديثة جدا، يمكن العودة إلى البيبليوغرافيا المنتخبة الفرنسية ــ العربية Bibliographie sélective France-Arabe المنشورة في 2005 من قبل (22) ADPF، التي تضم أكثر من 3000 عنوان. إن ما يلفت النظر في هذه المطبوعات، هو الحضور المكثف ــ الأكثر أهمية مقارنة بالماضي ــ لمؤلفين في العلوم الإنسانية، والاجتماعية، أصولهم من البلدان العربية، وبخاصة من المغرب الأكبر. في الحقل الفكري، أو الأكاديمي، كما في الحقل الأدبي، تجلب الكتابة بالفرنسية مباشرة امتيازات مادية ورمزية بيّنة.

عندما نطلع على بطاقات دليل الترجمات وقوائم الناشرين العرب، نلاحظ أن كل هذا الإنتاج بالفرنسية حول العالم العربي ــ سواء تعلق الأمر بالإنتاج المشرقي بالمعنى الواسع أم بإنتاج المؤلفين الذين يكتبون بالفرنسية ــ مترجم إلى حد بعيد إلى العربية. غير أنه من الصعوبة بمكان بل من المستحيل تقدير أهميته الكمية بدقة، لأنها تعبر أصناف التقسيم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العشري المعتمد من قبل الدليل وجل البيبليوغرافيات، ولكنها دون ريب إحدى أولويات الترجمة العربية المعاصرة. في هذا الباب، أفضى الجرد الذي قمنا به حول قائمة " البرنامج القومي للترجمة" وهو برنامج مصري عمومي كبير انطلق في 1995، إلى النتائج التالية: من مجموع 1000 عنوان التي تتضمنها القائمة المنشورة في 2006، 95 منها تتعلق بمصر (حضارة مصرية، ثقافة ومجتمع معاصران) و110 تعنى بالعالم العربي و/أو الإسلامي و50 عنوانا آخر كتب أصلا بالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، من قبل كتّاب عرب (جلهم مصريون). في المجموع إذن 255 من 1000 (25.5 %) هي من قبيل ما يمكن تسميته بالعودة إلى الأصل: إعادة امتلاك ــ بالعربية ــ لمعارف، وتصورات عن الذات، دونت بلغات أخرى .

الترجمـــة مـــن العربيـــة إلى الفرنســـيـــة:

كما أسلفنا، إن دليل الترجمات هاهنا أداة أكثر مصداقية، من حيث إن المعطيات المقدمة من قبل الإيداع القانوني الفرنسي أكثر اكتمالا. وكما سنراه، فإنها تطرح مشاكل أخرى، ولكننا سنستعملها من أجل إضاءة أولى شاملة. أحد الأبحاث المقترحة من قبل الدليل يدعى Top 10 للبلدان التي تترجم من لغة بعينها. وبشكل دال ولافت، نجد فرنسا على رأس Top 10 للبلدان التي تترجم من العربية، مع 1222 بطاقة، من مجموع 9113، أي 13.4% متقدمة على إسبانيا بـــ 929، وألمانيا بـــ 696. أما الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى فتتبوآن تباعا المرتبتين السادسة والعاشرة. كما نجد أيضا في Top 10 هذا ثلاثة بلدان إسلامية: (تركيا، إيران، أندونيسيا) وهذه مناسبة للتذكير بأنه إذا كانت العربية لغة مهيمنا عليها في المبادلات مع اللغات الأوربية، فإنها توجد في وضعية المهيمن في مبادلاتها مع الرقع اللغوية الأخرى للعالم الإسلامي .

لكن لنعد إلى فرنسا . عند فحص التطور عبر الزمن، نلاحظ تغيرا جليا في حوالي سنة 1990: فإلى غاية هذه السنة، نشرت في فرنسا ما بين 10 و28 ترجمة من العربية سنويا (معدل 20). انطلاقا من1991 ، لم ينشر أبدا أقل من 30، مع بلوغ الذروة بـــ 109 في 2001 (معدل 68 سنويا). وكما يبين ذلك الرسم أدناه، فإن هذا التغير خاص بفرنسا: على الصعيد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالمي، لم يرتفع عدد الترجمات من العربية بشكل دال في هذه المرحلة، باستثناء حالتين من الذروة في كل من عامي 1999 و2004 واللتين صعب تفسيرهما.

وعلى عكس ما تقدم، نعلم أن عدد الترجمات المنشورة في فرنسا قد ازداد بشكل قوي: فعندما يصدر معدل 20 ترجمة من العربية سنويا بفرنسا (فترة 1979–1990)، فإن معدل الترجمات الفرنسية هو 3179 عنوان في السنة. في الفترة التالية (1991–2004) حيث لدينا معدل 68 ترجمة من العربية في السنة، يلاحظ أن معدل مجموع الترجمات قد انتقل إلى 7209 عنوان في السنة. بعبارة أخرى، ازدادت "حصة سوق" العربية في الترجمات الصادرة في فرنسا، منتقلة من 0.6 إلى 0.9 % ولكنها تبقى في مستوى ضعيف للغاية .

لكي نفهم الطفرة الكمية الحاصلة في فرنسا في حوالي 1990 لابدّ من تدقيق التحليل، وفحص أنواع الكتب المترجمة، بالاطلاع على القوائم التي يوفرها الدليل في كل صنف.

الأصناف المذكورة أدناه لا تطابق بدقة الأصناف الواردة في الدليل، ومن أجل استنطاق صنف "الأدب"، قمنا بجرد وتوزيع بطاقاته إلى ثلاثة أصناف فرعية: الأدب الحديث، الأدب الكلاسيكي وحكايات ألف ليلة وليلة. في صنف "الدين" اقتصرنا على الإبانة عن ترجمات القرآن. أما الصنف "كتب أخرى" فيضم الأصناف الثمانية الأخرى للتقسيم العشري المتبنى من قبل الدليل. فيما يتعلق بالترجمات العربية، بدت تصنيفات الدليل غير دقيقة تماما. ذلك أن الكتب القديمة لا تنقاد إلى هذا النوع من التصنيف: هكذا نجد بأن ترجمات الفيلسوف الصوفي الكبير ابن عربي تصنف أحيانا في الأدب، وأحيانا أخرى في الدين، وأحيانا في الفلسفة. كما أن الاختيارات التي أجريت بالنسبة إلى الكتب الحديثة مدعاة للاعتراض: من ذلك مثلا السير الذاتية العديدة لكتّاب عرب محدثين، التي صنفت في التاريخ، والجغرافيا، والسيرة، وليس في الأدب. قمنا إذن بإعادة إدراجها في "الأدب الحديث" مع عناوين أخرى أسيء تصنيفها، وقبل تجميع هذا الكل المصطلح عليه بـــ "كتب أخرى" قمنا بفصل المؤلفين الكلاسيكيين عن المؤلفين المحدثين، الأمر الذي كشف الندرة الجمة لترجمات الأبحاث السياسية، أو نصوص العلوم الإنسانية، والاجتماعية العربية المعاصرة، (قرابة خمسة عشر عنوانا على امتداد الفترة1979 –2004).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من فترة إلى أخرى، ارتفعت جميع الأصناف والأصناف الفرعية، ولكن أساس الارتفاع أو الزيادة مصدره صنفان من هذه الأصناف: الأدب الحديث (من 177 إلى 345 بطاقة): + 448% وعلى نحو أكثر لفتا للانتباه صنف الدين (من 46 إلى 309 بطاقة: +672%). هذا الرقم الأخير يصور جيدا بروز سوق "الكتاب الإسلامي" في فرنسا وبالفرنسية، انطلاقا من السنوات الأولى للتسعينيات (23)، ويمكننا بسهولة أن نميز ــ ونحن نتصفح هذه الـــ 309 بطاقة لكتب الدين المترجمة من العربية إلى الفرنسية، بين الكتب التي تنتمي للنشر الفرنسي الكلاسيكي في المجال (أساسا ترجمات القرآن)، وكتب الإسلاميات، والتصوف (والكتب التي هي من قبيل هذا النوع الجديد من النشر الموجه لجمهور المسلمين في فرنسا) جل البطاقات). بالفعل، يتعلق الأمر أساسا بكتب التربية، والتنوير الديني الإسلامي، لمؤلفين كلاسيكيين، أو (في أغلب الأحيان) معاصرين، فرضت ترجمتها نفسها في سياق تعاظم الممارسة الدينية في وسط هذه المجموعة أو الجالية التي يتعذر علي الأغلبية الساحقة منها قراءتها بالعربية.

قبل أن نعود مطولا إلى ترجمة الأدب العربي الحديث في فرنسا، نود أن نقول كلمة قصيرة حول الصنف الذي اصطلحنا عليه بـــ "حكايات ألف ليلة وليلة". يتناول الدليل الإصدارات العديدة لألف ليلة وليلة بوصفها، ترجمات، علما بأن جل هذه الطبعات مصورة ومحلاة بحكاية أو عدة حكايات مختارة، (هي نفسها دائما: علاء الدين، علي بابا، السندباد...) وليست في الواقع ترجمات، ولهذا السبب تتبوأ ألف ليلة وليلة المرتبة الأولى في Top 10للمؤلفين الأكثر ترجمة من العربية حسب الدليل، مع 1010 بطاقة متقدمة بكثير القرآن (501)، ونوبل الآداب المصري نجيب محفوظ (361). ولكن وبمعزل عن ألف ليلة وليلة، نجد العديد من الترجمات الفرنسية لحكايات عربية، موجهة هي الأخرى للفتيان. ويتعلق الأمر جزئيا بطبعات مزدوجة اللغة فرنسي ــ عربي، وهذا يوحي بأن الجمهور المعني هو أساسا جمهور الفتيان الفرنسيين ذوي الأصول العربية، الذين سيستأنسون بلغتهم وثقافتهم الأصليتين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ازدهـــار الأدب العربي الحديث في الترجمة الفرنسية:

لقد شهد الأدب العربي الحديث الذي رأى النور في العقود الأولى من القرن العشرين في المراكز الحضرية لمصر والمشرق وفي العواصم الأوربية والأمريكية للهجرة، ازدهاره الفعلي بعد الحرب العالمية الثانية، وأخذ يشع تدريجيا على الرقعة العربية برمتها. إن الإنتاج الروائي الدال، كما وكيفا، في المغرب، وحديثا في الجزيرة العربية، لم يبرز إلا منذ السبعينيات. إنه أدب فتي، ومن الوجهة المنطقية فإن ترجمته هي الأخرى حديثة جدا.

من 1948 إلى 1968، لم تصدر سوى 19 ترجمة فرنسية لأعمال أدبية حديثة: بالكاد ترجمة واحدة سنويا (24) بعد 1967، وحرب الأيام الستة، أعطى بروز القصة الفلسطينية وبوجه عام التيار الثالثي (نسبة إلى العالم الثالث)(tiersmondiste) حضورا جديدا للثقافة العربية المعاصرة. في السبعينيات، ظهرت الترجمات الأولى الإنجليزية، والفرنسية للكاتب السوداني الطيب صالح (المولود في1929 والمصري نجيب محفوظ (1911 ــ 2006)، والفلسطيني غسان كنفاني (1936 ــ1972)، والمغربي محمد شكري (1935ــ2003)، والشاعرين محمود درويش (فلسطيني، المولود في 1942) وأدونيس (سوريا ــ لبنان، المولود في 1931) إلخ. يتعلق الأمر كما نلاحظ بكتّاب شباب آنذاك، يبدو نجيب محفوظ عميدا بينهم. إن ترجمته المتأخرةPassage des miracles، وهي الترجمة الفرنسية الأولى، التي ظهرت في 1970، (أي 23 سنة بعد صدور الأصل العربي) تبرز الجهل المترتب عن انغلاق فرنسا على الثقافة العربية في الخمسينيات والستينيات .

كما يتجلى البعد النضالي لهذه اللحظة المؤسسة لترجمة الأدب العربي في ملمح الفاعلين (مترجمين، ناشرين، مؤسسات). وأهم ناشر في هذا المجال هو سندباد Sindbad، الدار التي أنشأها في 1972 بيار برنارد، التي تخصصت في المجال العربي، (مع تغلغل طفيف في المجالين التركي، والفارسي). وقد صارت هذه المبادرة ممكنة، بفضل اتفاق مع الحكومة الجزائرية، سمح لسندباد بتصدير ما بين ثلث ونصف إنتاجها للجزائر (25). وفضلا عن سندباد، نجد بعض الترجمات من العربية لدى دار ماسبيرو، ومينوي ومسيدور، (ناشر مرتبط بالحزب الشيوعي الفرنسي)، أو في الدور الصغيرة المنشأة أو الممولة من قبل فاعلين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عرب، مثل (Publisud, Sycomore) ، أما المنشورات لدى كبار الناشرين للأدب الأجنبي فهي متأخرة جدا، ونادرة: لا بد من انتظار 1978 لإيجاد رواية مترجمة من العربية في سلسلة "من العالم بأسره" Du Monde entier، وهي رواية للفلسطينية سحر خليفة " Chronique du figuier barbare"، و1985 بالنسبة إلى سلسلة الإطار الأخضر Cadre vert في منشورات سوي :Seuil رواية جمال الغيطاني " الزيني بركات".

هذا وقد كانت سنة 1985 منعرجا: "(...) بعد 1985، لم تسجل أي سنة اقل من 10 عناوين صدرت في مجال الأدب العربي المعاصر (...) من 1990 إلى 1994، تجاوز المعدل الـــ 17 عنوانا في السنة، ومن 1995 إلى 2000 بلغ 25 عنوانا (26)". كما شهدت سنة 1985 أيضا انطلاق سلسلة (Lettres arabes آداب عربية) في دار لاتيس Lattès، بدعم مالي قوي من معهد العالم العربي...حيث صدرت من 1985 إلى 1990 إحدى عشر رواية، ومجموعات قصصية مترجمة من العربية. نلاحظ هاهنا أهمية الدعم العمومي العربي (تمويل الجزائر لسندباد)، والدعم الفرنسي ــ العربي (معهد العالم العربي) (27) خلال هذه الفترة الرائدة بالنسبة للأدب العربي الحديث في فرنسا.

تسارع هذا المدّ بفضل النجاح التجاري النسبي الذي ظفر به نجيب محفوظ، بعد استلامه جائزة نوبل للآداب في 1988، الجائزة الوحيدة الممنوحة لكاتب عربي إلى يومنا هذا. تحتل مؤلفات محفوظ مكانة مرموقة في المجموع (4 عناوين مترجمة إلى الفرنسية قبل جائزة نوبل، 32 من 1989 إلى 2006). لقد أفادت هذه الحركة خاصة الكتاب المصريين، واللبنانيين، الذين يهيمنون على الإنتاج العربي (28). أما البلدان الأخرى فهي قليلة التمثيل، إما لأنها هامشية في الفضاء الأدبي العربي، (الجزيرة العربية، المغرب) أو لأسباب سياسية، أكثر، (سوريا، العراق). وعلى عكس ذلك، نجد أن الأدب الفلسطيني مترجم نسبيا، وهنا أيضا لأسباب سياسية. من جهة أخرى، انطلاقا من 1990، اختفى الدعم الخاص (الجزائر، معهد العالم العربي) المشار إليه أعلاه، وأعقبه الدعم العادي للترجمة الداخلية للمركز الوطني للكتاب...الذي خصص أيضا لتظاهرات Les Belles Etrangères للآداب العربية : مصر (1994)، فلسطين (1997)، الجزائر (2003)، لبنان (2007).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد تبوأ الأدب العربي الحديث اليوم إذن مكانة صغيرة في مجال النشر الفرنسي، وتكون رصيد ذو بال من النصوص. غير أن ما تم يبقى هشا. فحسب التعداد الذي قام به مود ليونهارد سانشين الذي شمل 379 إصدار من 1979 إلى 2000 (بما في ذلك إعادة الطبع) لا نجد سوى قلة قليلة من النصوص المترجمة (10%) قد نشرت أو أعيد نشرها لدى كبار الناشرين) قاليمارد، لوسوي، ألبان ميشال، فلاماريون)، وأن 25 % كانت من صنع ناشرين صغار (ترجمات شعرية أساسا)، بينما 42 % من صنع ناشرين "تتمحور سياستهم النشرية حول القضايا المتعلقة بالعالم العربي، والعالم الثالث"(29). أما البقية، فهي من فعل ناشرين ذوي مشروع سياسي (مسيدور، دي فام، لوسرف). إن أغلبية المنشورات إذن إما غير مرئية كثيرا peu visibles، أو محصورة في شبكات نشرية، تنزع إلى حشر الأدب العربي في رقعته الجغرافية، أو إلى تسييسها فوق اللازم.

ومن حيث التوزيع، يلاحظ أن نجيب محفوظ هو الوحيد الذي بلغ أرقام سحب هامة (أكثر من 10 000 نسخة). هناك بعض المؤلفين يتراوحون اليوم ــ بالنسبة لعناوينهم الأكثر مبيعات بين 5000 و10 000 نسخة: المصريان صنع الله إبراهيم وجمال الغيطاني، واللبنانية حنان الشيخ، ومواطنها إلياس خوري. إن الغيطاني وإبراهيم وخوري مؤلفون متميزون لجيل الستينيات: تظل رواياتهم ــ بتجاوزها النزعة الطبيعية ــ وفية إلى حد بعيد للنموذج المزدوج للواقعية والالتزام. وهذا يصدق أيضا على روايات حنان الشيخ التي تمتاز (من وجهة النظر "التجارية") بتركيزها على وضع المرأة (أنظر أدناه). إن الدواوين الشعرية لمحمود درويش تباع بعدد هائل من النسخ وهو نجاح يغبطه عليه شعراء فرنسيون مشهورون، ولكنه قائم على تلقّ أو استقبال مسيـّس فوق اللزوم. أخيرا منذ 2006 حاز الادب العربي المترجم إلى الفرنسية أول كتاب شهد رواجا منقطع النظير(best seller : L'immeuble Yacoubian عمارة يعقوبيان)، عن منشورات Actes Sud, 2006 وهي أول رواية للمصري علاء الأسواني التي بيع منها حسب الناشر 150 000 نسخة في مدة 18 شهرا...يؤكد نجاح عمارة يعقوبيان النزعة التي أشار إليها المؤلفون المهيمنون على سوق الأدب العربي الحديث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المترجم، من محفوظ إلى إلياس خوري، أي هيمنة القراءة الإثنوغرافية و/أو السياسية لهذا الأدب ــ وهو الوضع الذي يشترك فيه مع آداب أخرى مهيمن عليها.

ثمة سمة أخرى لهذه السوق، وتتمثل في المكانة الخاصة التي خولتها للنساء. في 1961، نشرت لوسوي "أنا أحيا" ! Je vis وهي سيرة ذاتية لفتاة لبنانية ليلى بعلبكي في قطيعة مع الأخلاق السائدة في بلادها: ترجمة استثنائية بالنظر إلى سرعة إنجازها (ثلاث سنوات بعد صدور النص الأصلي) وسياقها، (هي الترجمة الوحيدة لكاتب عربي حديث أصدرها بفرنسا ناشر كبير جدا بين 1948 (طه حسين كتاب الايام، قاليمار) و1978 (سحر خليفة، الرواية المذكورة أعلاه). هذا الاستثناء التاريخي ينمّ عن الاستقبال الخاص للكاتبات العربيات في الفضاءات الأدبية المركزية، وهو استقبال تتمازج فيه الغرائبية(...) والتسييس، التضامن مع قضية المرأة العربية المقهورة.

الثابت أن العقبة اللغوية، سواء بالنسبة للنساء كما الرجال، حاسمة: فمن آسيا جبار التي تنشر منذ الخمسينيات إلى غاية الأجيال الجديدة (نينة بوراوي، مليكة مقدم، ومايسة باي...)، تتمتع الكاتبات ذوات اللسان الفرنسي بمنزلة أفضل من منزلة أخواتهن ذوات اللسان العربي. غير أن هؤلاء افضل حالا من زملائهم من ذوي جنس الذكور. تكشف مقارنة تواريخ صدور الأصول والترجمات بأن مؤلفات النساء تترجم بسرعة أكبر من ترجمة مؤلفات الرجال: ففضلا عن الأمثلة القديمة لليلى بعلبكي، وسحر خليفة (...) يمكن أن نذكر أيضا الجزائرية أحلام مستغانمي، لدى ألبان ميشال في سلسلة الترجمات الكبرى (ذاكرة الجسد2002، وفوضى الحواس، 2006) أو اللبنانية نجوى بركات، في سلسلة Cosmopolite لدى ستوك (Le bus des gens bien, 2002)، ليس هناك كاتب عربي ترجم قبلهن في هاتين السلسلتين.

كما أن الغرائبية والتسييس المشتط يسمان استقبال الكاتبات العربيات: الأكثر ترجمة والأكثر مقروئية هن اللواتي تؤكد أعمالهن أكثر هذه التصورات للمرأة العربية "المقهورة" و/أو الجنسانية sexualité المنحرفة أو الجموحة. إن هذه الموضوعات لم تعن بها الأجيال الجديدة للكاتبات العربيات التي ترجمت بعض أعمالهن إلى الفرنسية (المصريتان سمية رمضان، ومي التلمساني، الفلسطينية أدانية شبلي). وهن بذلك في توافق مع تطورات الفضاء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأدبي العالمي (...) والحقل الأدبي الفرنسي، حيث تحتل الكتابات الفردانية، لاسيما النسوية مكانة ممتازة. ورغم قيمتهن الأدبية فهن يعانين مصاعب جمة، في سبيل فرض أنفسهن (حركة نقدية ضعيفة، مبيعات هزيلة). وهنا أيضا يبدو أن الفضاءات الأدبية المركزية تسعى إلى إبقاء الآداب المهيمن عليها في دائرة الوثيقة الإثنوغرافية، والشهادة السياسية، أي حصرها في نموذج الواقعية والالتزام، وحرمانها من الحق في استرجاع قيمها الأكثر استقلالية، والأكثر عالمية...

في الخلاصة، يمكن القول ــ في سياق يتزايد فيه عدد الترجمات المنشورة تزايدا دالا، سواء في السوق الفرنسية (بحوالي الضعف) أم السوق العربية (بثلاث مرات) ــ بأن التطورات الحاصلة متباينة. ففي السوق العربية، حيث يسعى الكتاب إلى تغطية أطياف الإنتاج كله، نجد أن حصة الفرنسية في تناقص، غير أن لغتنا تقاوم بشكل جيد في نقاطها القوية التقليدية (الآداب، العلوم الإنسانية)، وأن وجود سياسة دعم قوية للترجمة الخارجية منذ 1990 عامل حاسم في هذه المقاومة. ثمة عنصر آخر يتمثل في النمو القوي لإنتاج الكتاب حول العالم العربي (الحقل الاستشراقي والكتّاب العرب ذوو اللسان الفرنسي)، إنتاج ما فتئ يترجم إلى العربية. وعلى عكس ذلك، تتعاظم الترجمة من العربية في السوق الفرنسية للكتاب، وهذا منذ 1985 1990، جاعلة فرنسا في مقدمة البلدان التي تترجم من العربية في العالم. وهذه الحركة الترجمية تظل محصورة تقريبا في المجالين الأدبي، والديني. ولئن كان الإنتاج العربي الكلاسيكي مهيمنا في السابق، فقد تجاوزه أيما تجاوز الإنتاج المعاصر، سواء في الأدب أم في الدين. وهكذا نرى من خلال مجموع التطورات التي شهدتها حركة الترجمة، بأن وتيرة هذه الترجمة بين العربية والفرنسية تعكس بشكل وفي التطور الراهن للعلاقات الثقافية بين فرنسا، والعالم العربي، المتسم بمضاعفة التبادلات والتشابك المتزايد لحقول الإنتاج الفكري، المباين المغاير لتصاعد الانغلاقات وأشكال التجاهل وسوء التصورات على صعيد المجتمعات الشاملة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الـــــهـــــــوامـــــــش

* R. Jacquemond, Les flux de traduction entre le français et l'arabe depuis les années

1980 : un reflet des relations culturelles in S.D Gisèle Sapiro, Le marché de la traduction en France à l'heure de la mondialisation, CNRS Editions, Paris 2008.

1. للمسألة، أنظر تاريخي من أجل تصور: R. Jacquemond, translation and cultural hegemony : the case offrench-arabic translation
2. التصنيفات والأرقام تتغير بتغير المصادر معطياتنا هاهنا تظل غير دقيقة ذلك أن.
3. Johan Heilbron, Towards a sociology of translation
4. الاطلاع على قاعدة معطيات اليونسكو الذي اجريناه خلال شهر أفريل جميع المعطيات الصادرة عن الدليل مأتاها 2008
5. حسب تعبير سمير قصير: Considérations sur le malheur arabe, actesSud, 2004
6. UNDP, Arab fund for economic and social development , The arab human development report 2003
7. المرجع السابق، ص 67.
8. شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي: 1999 الواقع والتحدي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
9. Dimitri Gutas, اسمه بالعصر الذهبي للترجمة العربية...أنظرك المأمون هو الخليفة العباسي الذي ارتبط Pensée grecque, culture arabe. Le mouvement de traduction gréco-arabe à Bagdad et la société abbasside primitive, trad. Abdessalam cheddadi, Paris, Aubier, 2005
10. الكتاب للسفارة الفرنسية ببيروت في إطار # مخطط الترجمة # تحرّ أجري في 2004ـ 2005 من قبل مكتب لوزارة الشؤون الخارجية ...
11. Mohamed-Sghir Janjar, L'édition dans le Maroccontemporain, 1955-2003 : Etat des lieux, étude accessible en ligne : www.rdh50.ma/fr/pdf
12. اللغة العربية في المملكة العربية السعودية ودورها في إثراء الإنتاج نورة صالح بن سليمان، ترجمة الكتب إلى الفكري، 1998 الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز.
13. أنظر من أجل عرض مفصل أكثر لهذا التقييم: R.jacquemond, Les Arabes et la traduction : petite déconstruction d'une idée reçue, in La pensée de midi, n°21, juin 2007
14. الاتحاد السوفياتي سابقا بعد طرح الترجمات العربية المنشورة في.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

15. ترجمات منها 6% التسعينيات تقدر بـــ 140 000 عنوان في السنة كانت سوق الكتاب الصيني في نهاية:
16. Robert Baensch, The publishing industry in China, transaction publishers, 2003
17. Mohamed-Sghir janjar, op. cit.,p
18. أنظر حول "الكتاب الإسلامي" العربي:Yves Gonzalez-Quijano, Les gens du livre : édition et champ intellectuel dans l'Egypte républicaine, paris, CNRS, 1998
19. Ministère des Affaires étrangères-ADPF, Lire les auteurs français à l'étranger. Les programmes d'aide à la publication. 1990-2005
20. بمناسبة اجتماع مهني حول سياسات دعم الترجمة في العالم العربي قائمة مقدمة من قبل مركز الكتاب الوطني (طنجة، جانفي 2004)
21. Gilles kepel, Synthèse de l'atelier Edition-traduction, actes du colloque Le Monde arabe dans la vie intellectuelle et culturelle en France, 18-20 janvier 1988, Paris, Institut du Monde arabe, 1989, p.112
22. Farouk Maradam Bey (dir.), France-Arabie. Bibliographie sélective des ouvrages français disponibles sur le monde arabe, Paris, ADPF-Ministère des Affaires étrangères, 2005
23. حول هذه الظاهرة، أنظر: Soraya El Alaoui, Les réseaux du livre islamique. Parcours parisiens, CNRS, 2006
24. NadaTomiche, La littérature arabe traduite. Mythes et réalités, paris, Geuthner, 1978, tableaux, p.3 et 6-7
25. سندباد، أنظر حول مسار بيار برنارد وتاريخ منشورات:Maud Leonhardt Santini, paris, Librairie arabe, op.cit. spécialement le chapitre 7 : Leséditions Sindbad de Pierre Bernardà Mardam Bey
26. المرجع السابق، ص 166ـــ167
27. يمول معهد العالم العربي مناصفة من قبل فرنسا والدول 1980 حسب فحوى عقد التأسيس الموقع عليه في تأخر عمليا، ومنذ نشأته، رفضت أغلبية هذه الدول إما تقديم إسهامها أو أنها قدمتها بعد العربية الموقعة. ولكن جم. أنظر: Thierry Fabre, L'institut du Monde arabe entre deux rives, in Vingtième siècle, n°32, 1991
28. Maud Leonhardt Santini, Paris, librairie arabe, op.cit., p.178-179

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com